قصيدة

يا لائِمي من غير ما برهانِ

نظم

الشمائل النبويَّة

على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام

نظم

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

قصيدة

يا لائِمي من غير ما برهانِ

نظم

الشمائل النبويَّة

على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام

نظم

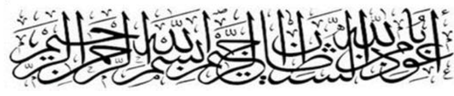
الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين


بسم الله الرحمن الرحيم

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لنَظْمِــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــــذرُ
واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ
فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لـــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجــــــدرُ
ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى *كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعـــــذِّرُ
فالنَّقصُ في نفس الطبيعة كـــائنٌ * فبنو الطَّبيعة نقصهم لا يُنـــكرُ([1])

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".
البيت فيه: يا ناظرا في عمدت لجمعه، وأنا غيرتها: لنظمه، لتوافق مقصد الكتاب.



{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}

[المؤمنون: 69].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:

مَن رآني في المنامِ فقد رأى الحقَّ إنَّ الشَّيطانَ لا يتشبَّهُ بي[1]

---

[1] أخرجه البخاري (6993)، ومسلم (2266)، وأبو داود (5023)، وابن ماجه (3901) واللفظ لهم.

مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَاشريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسوله ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: 1].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرّالأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ"[1].

وبعد: فهذا نظم مباركٌ في الشمائل النبوّية نظمته من كتابي: {المختصر في وصف البشر}، فجعلته على الرجز التّام بقافية نونيّة، وجعلتُ هذا النَّظم في شكل نظم غراميّ من باب، ومدحيٍّ من باب آخر، وكلُّه يدور حول علم الشمائل، وملأت النَّظم بالاستدلالات وذلك بذكر أقوال الصحابة رضي الله عنهم في شكل نظم، هذا وأسأل الله تعالى أن يقبلها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعني بها والمسلمين آمين.

وكتب:

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

---

[1] أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومسَتْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.

الراوي : جابر بن عبدالله، المصدر :أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير. وصححه الألباني في صحيح الجامع، الرقم: 1353.

{قصيدة}

{يا لائمي من غير ما برهانِ}

{في الشمائل النبوية}

صفاتُ النَّبيّ ﷺ الخِلقيَّة:

يَا لَائِمِي مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ ** اِسْمَعْ لِنَظْمٍ مُحْكَمِ الْأَوْزَانِ

يَا لَائِمًا فِي حُبِّهِ لَا تَعْذُلَنْ ** وَانْظُرْ لِحَالِ الْهَائِمِ الْوَلْهَانِ

إِنَّ الرَّسُولَ مَنْ رَأَى جَمَالَهُ ** يَغْدُو رُؤُوسَ الْوُلْدِ كَالشَّيْبَانِ[1]

بِلَحْظَهِ الْهُدْبِ وَشَعْرِهِ الرَّطِبْ ** وَقَوْلِهِ الْعَذْبِ الَّذِي أَرْوَانِي[2]

بِقَدِّهِ الرَّبْعِ وَلَوْنِهِ الزَّهِرْ ** وَفَلْجَةُ السِّنّ لَقَدْ أَعْيَانِي

كَثٌّ لِلِحْيَةٍ وَرَطْبُ رَاحَةٍ ** وَعَظْمُ كُرْدُوسٍ لَهُ ضَخْمَانِ

سَوَادُ شَعْرِهِ بِطُولٍ رُطْبُهُ ** غَدَائِرٌ بِدُهْنِهَا أَبْرَانِي

---

[1] كلمة "الشيبان": في اللغة تدل على اشتداد الشيء؛ فيُقال "يومٌ شيبان" أي يوم بارد جداً تبيض فيه الأرض من الثلج أو الصقيع، والرَّجلُ شديد الشيب في رأسه شيبان لشدة شيبه، تشبيها ببياض الثلج في اليوم البارد، وعليه أصل كلمة شيبان هي اليوم البارد، فتستعمل للرجل شديد الشيب لتشابهٍ بينه وبين اليوم المثلج، ويمكن لكَ أن تشبِّه رؤوس الأولاد في البيت باليوم الشيبان وهو شديد البرد الذي ابيضَّت الأرض من ثلجه، وهو الأقرب.

و"شيبان" و"ملحان" هما شهران من شهور الشتاء في الجاهلية، وقد ذكرهما الشعراء دائماً في سياق الشدة والبياض. قال الكميت بن زيد:

مَرَّتْ بِهِ شَيْبَانُ فِي سَبَلٍ ** مِنَ الصَّقِيْعِ كَأَنَّهُ مِلْحُ (بياضه كبياض الملح يريد الثلج)

[2] اللحظ في اللغة هو نظر العين من جانب الأذن، أي الالتفاتة بطرف العين. الأهداب (ومفردها هُدْب) هي شعرات جفون العين.

قَلِيلُ شَيْبٍ شَعْرُهُ وَالْعَنْفَقَهْ ** وَظَاهِرٌ فِي آخِرِ الصُّدْغَانِ[1]

عَظِيمُ رَأْسٍ بِجَمَالٍ قَدْ وُصِفْ ** وَذَاكَ مَمْدُوحٌ لَدَى الْعُرْبَانِ

مَسْرَبَةٌ طَوِيلَةٌ، رَحْبُ جَبِيـ ** ـنٍ، هَدْبُ أَشْفَارٍ سَوِي الْخَدَّانِ[2]

فَمٌ ضَلِيعٌ، حُسْنُ ثَغْرٍ، طُولُ شَقْـ ** ـقٍ، دَعْجُهُ فِي هَذِهِ الْعَيْنَانِ[3]

أزجُّ حَاجِبَيْنِ أَبْلَجٌ كَذَا ** طَوِيلُهُمْ، مِنْ غَيْرِ ذِي الْقَرْنَانِ[4]

بَيْنَ الْعُيُونِ فِضَّةٌ، أَقْنَى الْأَنَفْ ** رَحْبٌ عَرِيضٌ بَينِ مَنْكِبَانِ[5]

وَبَارِدُ الْيَدَيْنِ وَالرِّيحُ بِهَا ** مِسْكٌ حَرِيرٌ هَذِهِ الْكَفَّانِ

شَثْنُ الْكُفُوفِ رَطْبُهُا جَمِيلُهَا ** كَذَا طَوِيلُ شَبْحِ ذِي الذِّرْعَانِ[6]

فِي سَاقِهِ وَبْصٌ بَيَاضٌ شَثْنُ أَقْـ ** ـدَامٍ وَأَخْمَصٌ لِذِي السِّيقَانِ[7]

قَلِيلُ لَحْمِ عَقِبٍ، وَقَدْ يُرَى ** بَرِيقُ فِي هَاتِيكُمَا الرِّجْلَانِ

---

[1] العنفقة: هي الشعر الذي تحت الشفة السفلى وفوق الذقن، وكان فيها شعرات بيض يسيرة. الصدغان: الصدوغ: جمع صُدغ، وهو ما بين العين والأذن، وهناك كان يظهر شيبه الشريف ﷺ، وقولي: في عنفقه كثيره في آخر الصدغانِ، أي: شيبه: أنه لم يزد عن عشرين شيبة في شعره ولكن في العنفقة والصدغان أكثر من ذلك.

[2] المسرُبة: الشعر الدقيق الذي يأخذ من الصدر إلى الصرَّة، فوض الجبين: أي: مُفاض الجبين، أي: واسع الجبين، سَوِي الخدَّانِ: أي: أسيل الخدين، أي: مستوي الخدَّين، غير مرتفع الوجنتين.

[3] ضَلِيع: معناها، كبير، والدَّعَجُ: هو: شِدَّةُ سَوَادِ حَدَقَةِ العَيْنِ مَعَ شِدَّةِ بَيَاضِ بَيَاضِهَا.

[4] كلمة "الأزجّ": أي: يكون الحاجب رقيقاً طويلاً وممتداً بجمال نحو مؤخرة العين، كلمة "الأبلج": أي: اتساع ونقاء المسافة بين الحاجبين من الشعر.

[5] أقنى الأنف: المستوي الأنف من أوله إلى آخره.

[6] شثن الكفَّين: تميل إلى الغلظ والقصر وهو دليل القوَّة، شبح الذراعين: أي: طويلهما، وقيل عريضهما.

[7] وبيص: أي: بريق، أخمص القدمين: هو ما دخل من باطن القدم، فالنبي ﷺ كان مستوي باطن القدم.

كَأَنَّ ظَهْرَهُ السَّبِيكَةُ الَّتِي ** مِنْ فِضَّةٍ، زَانَتْ مَعَ الْعِقْيَانِ[1]

وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْ ** ـبَرٍ، وَلُؤْلُؤٌ بِهِ عَرْقَانِ

مُقَصَّدٌ، مَلَاحَةٌ، بَيَاضُهُ ** دَوَائِرٌ، فِي وَجْهِهِ لَمْعَانِ[2]

إِنَّ الْجَمَالَ يَسْتَحِي وَيَنْجَلِي ** إِذَا أَتَى ذِكْرٌ لِذِي الْعَدْنَانِ

كَأَنَّهُ الشَّمْسُ بِإِشْعَاعٍ أَتَتْ ** فَاقْصُرْ أيَا لَائِمُ عَنْ لَوْمَانِي[3]

سَلِ الرُّبَيِّعَ ابْنَةَ الْمُعَوِّذِ ** وَسَلْ أَبَا هِرٍّ عَنِ الْوَصْفَانِ

سَلْ جَابِراً لَمَّا يَقُلْ: أَحْسَنُ مِنْ ** قُمَيْرٍ فِي عُتَيْمَةٍ ضِحْيَانِ[4]

مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ فَلَا قِيَاسَ لَا ** تَمْثِيلَ لَا تَشْبِيهَ لَا رُجْحَانِ[5]

كَأَنَّ وَجْهَهُ قُطَيْعَةُ الْقَمَرْ ** إِذْ سُرَّ أَوْ رَأَيْتَهُ فَرْحَانِ

أَوْ وَرْقَةٌ مِنْ مُصْحَفٍ مِنْ شِدَّةِ الْـ ** ـحُسْنِ الَّذِي صَارَ بِهِ نَوْرَانِ

[1] العقيانُ، هو: الذهب الخالص، فظهرهُ كأنَّه سبيكة فضَّة، وهذه الفضَّة بذاتها تجمَّلت (زانت)، لمَّا دُمجت مع العقيان.

[2] مُقَصَّدٌ: أي: لا نحيف ولا سمين ولا طويل ولا قصير، وقوله: دوائرٌ: أي: دوائرُ الوجهِ لها لمعان، وقولي: لَمْعَانِ، بسكون الميم، في لغة العرب، هناك ميل أحياناً لتخفيف الكلمات التي تتوالى فيها الحركات بتسكين وسطها (مثل قَوْلهم في "كَلِمَة" –> "كِلْمَة")، و لَمَعَان إلى لمْعَان، وهو باب واسع في الشعر.

[3] كلمة "لَوْمَان" هي مصدر للفعل "لامَ"، تماماً مثل "لَوْم". في اللغة العربية، قد يأتي المصدر على وزن (فَعْلَان) للدلالة على القوة أو الامتلاء (مثل: شكران، كفران، غفران).إذن، "لَوْمانِي" تعني: "كُثرة لومي" أو "استمرار عتابي".

[4] الإضحيان، وضَحِيَان: لها نفس المعنى وهو: الليلة المقمرة، وجعتها: ضِحْيَانِي، لتوافق القافية، وضِحْيَان، أو ضَحيَان، كلاهما صحيح لغة.

[5] مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ: أي استنادًا إلى شهادته واعتمادًا على رؤيته البصرية اليقينية، فهو الحُجّة التي نرتكز عليها، فإنَّه لا قياس بين شيئين لا يشتركان في العلَّة، ولا تمثيل وهو المطابقة، ولا تشبيه وهو المقارنة، لَا رُجْحَانِ: أي لا مجال للمفاضلة أو وضع "كفتي ميزان"؛ لأن كفة الجمال النبوي راجحةٌ بذاتها دون حاجة لمقارنة مع غيرها.

أَبْلَجُ وَجْهٍ ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ ** قَسِيمُ، صَوْتُهُ بِهِ صَحْلَانِ[1]

فِي ظَهْرِهِ خَتْمُ نُبُوَّةٍ بِهَا ** شَعْرَاتُهُ، بَيْضٌ لِذِي الْوَرْشَانِ[2]

سُبْحَانَ مَنْ أَتَمَّهُ بِأَحْسَنِ ** خَلْقٍ، بَدِيعٌ مَالِكٌ مَنَّانِ

صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخُلقيَّة:

إِذَا تَكَلَّمَ اكْتَسَى بِالْحُسْنِ، إِنْ ** يَصْمُتْ[3]، عَلَاهُ هَيْبَةُ الْأَكْوَانِ

أَسْمَى حَيَاءً مِنْ عَذَارَى، إِنْ كَرِهْ ** شَيْئًا يَكُنْ فِي وَجْهِهِ الْعِرْفَانِ

طِيبُ مُزَاحٍ بِحَنَانِهِ يَقُلْ ** لمالكٍ: يَا صَاحِبَ الْأُذْنَانِ

يُخَالِطُ الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ وَيْـ ** ـكَأَنَّهُمْ فِي قُرْبِهِ خِلَّانِ

رَاحِمُ صِبْيَةٍ، يَقُلْ: أَبَا عُميْـ ** ـرُ مَا بِهِ النُّغَيْرُ يَا حَزْنَانِ

قَالَ لِزَاهِرٍ: أَمَنْ يَشْرِي عُبَيْـ ** ـدًا؟ قَالَ كَاسِدً إِذًا تَلْقَانِي

---

[1] أبلج: يعني نيِّرُ الوجه، قسيم، أي: جميل، صَحْلَانٌ: أصلها: في صوته صَحَلٌ، وهي البحَّة الخفيفة غالبًا، وقيل: الصَّحَلُ: حدّة ولطافة ورنين في الصوت لا جفاء فيها، وقولي: صَحْلَان: بتسكين الحاء، وزيادة ألف ونون ضرورة شعرية، وهو صحيح من الناحية الصرفية من ذلك قول الشاعر: وَغَرَّكِ أَنِّي فيكِ جِدُّ نَصِبانِ ** وَأَنَّ الرِّضا بَذْلٌ وَأَنَّ الخَنا لَقي: نَصِبَان، مشتقةٌ من نصِبَ والنَّصبُ التَّعب.

القياس الصرفي: هي على وزن (فَعِلان)، وهو وزن قياسي في اللغة العربية يُصاغ من الفعل الثلاثي (صَحِلَ) الذي يدل على الأعراض أو الصفات البدنية، تماماً مثل: (نَصِبَ ← نَصِبَان)، (ضَجِرَ ← ضَجِرَان)، (فَرِحَ ← فَرِحَان).

المعنى: تدل على المبالغة في اتصاف الشخص بصفة "الصَّحَل" (بحة الصوت)، فإذا كان "صَحِل" تعني فيه بحة، فإن "صَحِلان" تعني أن البحة متمكنة منه وممتلئة بها حنجرته.

القاعدة: القاعدة الصرفية تسمح بصياغة هذا الوزن من كل فعل على وزن "فَعِلَ" للدلالة على الامتلاء أو الثبوت والكثرة.

الخلاصة: كلمة "صَحِلان" كلمة عربية صحيحة المبنى والاشتقاق، ولا غبار عليها كمفردة لغوية، واضطررت لتسكين الحاء.

[2] الورشان: وهو الحمام البري الكبير (يشبه الحمام الزاجل في قوته).

[3] إِنْ يَصْمُتْ: "إِنْ" حرف شرط جازم، ويَصْمُتْ: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون، وهو فعل الشرط.

كَذَا الشَّجَاعَةُ بِهِ تَشَرَّفَتْ ** فَارِسُ فُرْسَانِ ذِهِ[1] الْعُرْبَانِ

وَلَّوْ فِرَاراً فِي حُنَيْنٍ، إِنَّمَا ** كَرَّ النَّبِيُّ ﷺ قَاصِمُ الطُّغْيَانِ[2]

نَادَى بِصَوْتِهِ وَكَرَّ وَحْدَهُ ** كَمَا ابْنُ عَازِبٍ كَذَا أَنْبَانِي

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ۩ أَنَا ابْنُ عَبْ ** دِ الْمُطَّلِبْ ۩ هَلُمَّ يَا شُجْعَانِي[3]

يَحْكِي لَنَا عَلِيُّ إِنْ وَطِيسُ حَرْ ** بٍ يَسْتَعِرْ[4] نَلُوذُ بِالْعَدْنَانِ

وَقُوَّةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ غَالِبٍ ** فِي سُرُرٍ كَذَاكَ فِي الْأَبْدَانِ[5]

قَالُوا: ثَلَاثُونَ مِنَ الرِّجَالِ زِدْ * عَشَرَةً، بِالصِّدْقِ لَا الْبُهْتَانِ[6]

---

[1] كلمة "ذِه" (بكسر الذال وسكون الهاء أو كسرها) هي لغة في "ذهي" أو "هذه".العرب تستعمل لاسم الإشارة للمؤنث: (ذِهْ، ذِي، تِهْ، تِي).

[2] حنين: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، ولكنَّنا قصدنا: به (وادٍ بين مكة والطائف): فيُصرف (يُنوّن) لأنه اسم لمكان مذكر، كقوله تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}.

[3] أثبتُّ ياء الإطلاق كتابةً مع أنَّها تلفظ ولا تُكتب، لإرادة نسبة الشجعان وهم الصحابة إلى النبيِّ ﷺ أي: يا شُجعاني أنا، وليسوا مجرَّد شُجعان، كذلك: تركت الحشو فيه تسكين، لا كذبْ – عبد المطَّلبْ، ليبقى النص النبوي كما هو، والوقف عليها يعطي هيبة للنص ورنين في الأذن.

[4] إنْ: حرف شرط جازم يجزم فعلين – وَطِيسُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، لفعل محذوف يفسره المذكور بعده (تقديره: إن يستعر وطيسُ) – حَرْبٍ: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره – يَسْتَعِرْ: فعل مضارع مجزوم (لأنه الفعل المفسر لفعل الشرط) وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره.

[5] المقصود: في سرر: جمع سرير، وهو الفراش، والفراش كناية عن الجماع، والكناية هنا غاية في الأدب والجزالة؛ فبدلاً من التصريح، استخدمتُ محلَّ القوة (السرير) للدلالة على كمال الفحولة والرجولة التي هي من صفات الأنبياء الكُمَّل

[6] قَالُوا: ثَلَاثُونَ مِنَ الرِّجَالِ زِدْ * عَشَرَةً...، أي: أنَّ قوته تعادلُ ثلاثين رجلا، وزد عشرة: عشرة: تزدها للثلاثين تصبح أربعين: وهو قول آخر في حساب قوَّته ﷺ.

صَرْعُ رُكَانَةَ الْأَشَدُّ، قَالَ: عِدْ ** قَالَ نُعِدْ، أَعْيَتْهُ صَرْعَتَانِ[1]

وَزِدْهُ أُخْرَى بِثَلَاثَةٍ تُعَدْ ** فَمَا هُمَا فِي صُرْعَةٍ نِدَّانِ

فِي خَنْدَقٍ بِمِعْوَلٍ يُبَسْمِلُ ** يَكْسِرُ صَخْرَةً مِنَ الضُّرَّانِ[2]

لَمْ يَسْتَطِعْ صُلْبُ الصَّحَابَةِ الْقُوَى[3] ** مِنْ كَسْرِهَا، فَإِنَّهَا صِوَّانِ

لَا عُمَرٌ، حَيْدَرَةٌ، فَمَا قَدَرْ **كَذَا الزُّبَيْرُ مَعْهُمَا سَلْمَانِ

طَافَ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ ** لَيْسَ كَمِثْلِهِ مِنَ الْفُحْلَانِ

وَلَمْ يَكُنْ يَأْنَفُ مِنْ مَشْيٍ مَعَ الْ ** ـمِسْكِينِ، مَعْ أَرْمَلَةٍ ثُكْلَانِ[4]

يَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَفْلِي ثَوْبَهُ * يَخْدُمُ نَفْسَهُ بِكُلِّ الشَّانِ[5]

يَخْدُمُ نَفْسَهُ بِذَاتِهِ، وَلَا ** يَسْتَكْنِفَنْ مِنْ عَمَلِ الرُّعْيَانِ[6]

---

[1] ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، أشدُّ العرب قوّة لا يُصارع أحدا إلا غلبه، قيل (للتَّمريض): أنَّ النبي ﷺ دعاه للإسلام فقال: إن صارعتني، فصارعه النبي ﷺ فصرعه، فقال: نعيد الكرة، فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرَّات، وقد ضعَّف بعضهم إسناد هذا الخبر بعلَّة المجاهيل فيه، وبعضهم ضعَّفه بالإرسال كابن كثير، وقولي: قالَ عِدْ: من وعدَ فهو فعل أمر من وعدَ، أي: عدني أن نعيد المصارعة، ويمكن حمها على أعِدْ، يعني نعيد الكرَّة مرة أخرى، قلت: قال نُعدْ هي الفعل المضارع المجزوم في جواب الطلب (أي: إنْ تطلب الإعادة نُعِدْ)، وهي صحيحة لغوياً

[2] الضُّرَّانُ: حجرٌ قاسٍ جدًا: جاء في لسان العرب لابن منظور: 183/9: ظرر: الظِّرُّ، وَالظُّرَرَةُ، وَالظُّرَرُ: الْحَجَرُ عَامَّةً، وَقِيلَ: هُوَ الْحَجَرُ الْمُدَوَّرُ، وَقِيلَ: قِطْعَةُ حَجَرٍ لَهُ حَدٌّ كَحَدِّ السِّكِّينِ، وَالْجَمْعُ ظِرَّانٌ وَظُرَّانٌ.

وفي معجم المعاني الجامع: الظُّرَّان: قطع من الصوان كان الأقدمون يتخذون منه الأدوات الحادة القاطعة.

[3] لَمْ يَسْتَطِعْ صُلْبُ الصَّحَابَةِ الْقُوَى: أصلها: لم يستطع الصحابة صُلب القُوَى، فـ"القُوى" هنا ليست "نعتًا" (صفة) للصحابة، بل هي "مفعول به" أو "متعلق" بفعل محذوف، أو حتى من باب "التبادل بين الصفة والموصوف"، فالشعراء قديماً وحديثاً استخدموا تراكيب وعرة لتناسب الوزن.

[4] ثُكلان: أصلها ستخدم في اللغة لوصف الرجل (رجلٌ ثكلان)، والمرأة "ثكلى". ولكن من باب تذكير المؤنث وعكسه، فتذكير المؤنّث كما في قوله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 56]، {فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ} [البقرة: 275]، وتأنيث المذكّر قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ} [ق: 12]، {وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات: 11]، وعليه فثكلا، يمكن حملها على التأنيث.

[5] الشان: أراد الناظم: في شأنهِ، أي: يخدم نفسه في شؤنه كلها.

[6] يستكنف، أي: يستعلى، ويترفَّع، والمعنى: لم يترفَّع أن يعملَ راعيًا، وكان راعيًا، ﷺ.

قَطِيفَةٌ قَدِيمَةٌ رَحْلٌ بَلِي ** حَجَّ النَّبِيُّ، مُخْلِصَ الْأَرْكَانِ[1]

وَيُدْعَ لَلْخُبْزِ مَعَ الْإِهَالَةِ ** قَدْ سَنِخَتْ، يُجِيبُ لَا خَجْلَانِ[2]

حَتَّى يَقُولَ: لَوْ دُعِيتُ لِلْكُرَا ** عِ لَاسْتَجَبْتُ لِقِرَى الْكُرْعَانِ[3]

وَلَا يَقُومُ صَحْبُهُ لِرُؤْيَتِهْ ** لِكُرْهِ، ذَا، تَوَاضُعُ الْإِنْسَانِ[4]

وَزَارَ صَحْبَهُ لِمَرْضِهِمْ وَلَا ** يَرْكَبُ شَيْئاً جَا عَلَى الرِّجْلَانِ

يَمْشِي مَعَ النَّاسِ تَوَاضُعاً عَلَى الْ ** أَقْدَامِ أَوْ أَحْيَانَهُ حَفْيَانِ[5]

مَا قَالَ "لَا" قَطُّ لِسُؤْلِ حَاجَةٍ ** وَلَا يَرُدُّ تُحْفَةَ الْإِخْوَانِ[6]

وَقَوْلُهُ: تُطْرُونِ[7] لَا إِطْرَاءَا ** نَصَارُهُمْ لِذَاكُمُ الرُّوحَانِي

فِيهِ تَوَاضُعٌ، بَسَاطَةٌ لِمَنْ ** سُلْطَانُهُ حَوَى الْبَرَى[8] وَالْجَانِ

---

[1] القطيفة: نوع من القماش: هي كِساء أو ثوب له "خَمْل" (شُعيرات ناعمة بارزة)، و: بَلِي: أي: بَلِيَ: نزع الفتح للوقف على الساكن، و: مُخلصَ الأركانِ، أي: مخلصًا لله في كل أركان الحج.

[2] الإهالة: الشحم المذاب، والسنخة: المتغيرة الريح لِقِدَمِها، وتعريف الإهالة، والدخول بعدها بـ "قد" يُسمى في البلاغة بـ"التشويق"، فالسامع يسمع "الإهالة" وينتظر: ما بالها؟ يأتي الجواب في الشطر الثاني: "قد سنخت".

[3] القِرى: هو طُعمةُ الضَّيف.

[4] لكرهٍ: أي: لكرهه أن يقف له النَّاس/ وحرف: (ذا) جعلت قبله فاصلة وبعده كذلك، لتفيد معنى الكلمة التي قبلها والتي بعدها، وهو فن لغوي بليغ يُعرف في البديع بـ "التوجيه" أو "الإبهام"، ويُسمى أحياناً "التضمين" أو "الاشتراك المزدوج". بحيث تؤدي الكلمة الواحدة دوراً مزدوجاً في السياق، أي: لكرهِ ذا، وكذلك: ذا تواضعٌ ... فانتبهْ. =

[5] القاموس المحيط والمعجم الوسيط: ذكروا أن "الحافي" هو العاري القدمين، وكلمة "حفيان" تُستخدم كصفة مشبهة تدل على ثبوت هذه الحالة أو المبالغة فيها، لا سيما لمن رَقّ جلد قدمه من كثرة المشي حافياً.

[6] التُّحفة: الهديَّة الثمينة أو العطيّة: ما يُتحف ويُهدى به للغير من باب البر واللطف والترحيب.

[7] تُطرونِي: يجوز حذف الياء في لغة العرب لتصبح: تُطرُونِ، كما في قوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ}[الزمر: 17]، والكلام فيه تقديم وتأخير، فأصل الكلام: وَقوْلُهُ لَا تُطرُونِي إِطْرَاء....

[8] البَرَى لها معانٍ: منها: التراب، ومنها: الخَلْقُ، (عموماً) وقولي: حَوَى الْبَرَى والجانِ: والجان من عموم البرية، وهو من باب عطف الخاص على العام.

وَقَوْلُهُ: خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ ** خُلْقاً، وَلَمْ يَكُنْ بِذِي الْفُحْشَانِ

وَاسْتَفْسَرُوا أُمِّي الْعَفِيفَ عَائِشَهْ ** مَا خُلْقُهُ؟ رَدَّتْ: مِنَ الْقُرْآنِ[1]

وَلَمْ يَنْتَقِمْ لِنَفْسِهِ، وَمَا ضَرَبْ ** زَوْجًا، عَدَا جِهَادُ فِي الدَّيَّانِ

وَأَرْأَفُ النَّاسِ رَحِيمُهُمْ وَلَا ** فِي رِقَّةِ الْقَلْبِ لَهُ مِنْ دَانِي

حَتَّى يَقُولَ عَنْ قَتِيلِ الْعِشْقِ: مَهْ ** هَلْ مِنْكُمُو مَنْ قَلْبُهُ رَحْمَانِ؟[2]

وَالْجُودُ مِنْ بَحْرِ عَطَائِهِ ارْتَوَى ** وَعَطْفُهُ قَدْ أَدْرَكَ اللَّهْفَانِ

فَجُودُهُ قَدْ فَاقَ حَاتِمًا كَذَا ** قَدْ فَاقَ عَبْدَ اللهِ بِنْ[3] جُدْعَانِ

بَحْرُ الْعَطَا وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ ** طَمَا بِهِ هَطَّالُ فِي رَمْضَانِ[4]

أَعْطَى فَقِيرًا لِائْتِلَافٍ مَا طَلَبْ ** مِنْ غَنَمٍ مَا يَمْلَأُ الْوِدْيَانِ

قَالَ: اسْلِمُوا يَا قَوْمَنَا ثُمَّ اغْنَمُوا ** قَالُوا: وَمَا دَهَاكَ يَا صَفْوَانِ؟[5]

---

[1] أمِّي العفيفة: لغة: وجوب إدغام يا أمي في اللام القمرية، وحذف التاء للتخفيف وللوزن.

[2] ينظر: إلى الحديث الذي أخرجه النسائي وغيره 8663، وصححه الألباني: وفيه .. إلى أن قال: أما كان فيكم رجل رحيم، وكلمة: مهْ تفيد النهي أو التكرُّه، وأراد الناظم بذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كرهَ قتلهم لذلك العاشق، وإشباع الميم: من: منكمو: مستساغ جدا في الشعر.

[3] بِنْ: هي لغة: وتسمى لغة بِنْ: توجد لغات (لهجات) فصيحة حكاها النحاة (مثل الفراء وابن جني) تُثبت حذف الهمزة وتحريك الباء: يقول العرب في النداء: "يا بِنَ الكرام" بحذف الهمزة وكسر الباء، وهذا نطق فصيح ومستعمل. حكى الجوهري في "الصحاح": أن لغة في (ابن) هي (بِن) بكسر الباء، و**(بُن)** بضمها.
استخدم الشعراء الفصحاء "بِن" بحذف الهمزة وكسر الباء لاستقامة الوزن، ومن ذلك قول الشاعر: يَا بِنَ المُعَلَّى نَفْسُكَ انْتَصِرِي.

[4] البحر: هو تشبيه للرسول ﷺ و"طما" يعني: فاض، و"بِهِ" الضمير في "به" يسأل فاض بماذا؟ الجواب: طما بالعطاء والجود والإحسان، والهطَّال: هو المطر الغزير، فالعطاء والجود والإحسان فاض بهما النبي وبنهمرُ هطَّالَ في رمضان.

[5] صفوان: أي: صفوان بن أمية، وهو الذي أعطاه النبيُّ ﷺ ما بين جبلين من غنم.

قَالَ: مُحَمَّدٌ عَطَاؤُهُ كَمَنْ ** جَادَ وَلَا يَخْشَى مِنَ الْفَقْرَانِ[1]

فَيَا عَذُولًا قَدْ سَمِعْتَ وَصْفَهُ ** فَاقْصِرْ لَقَدْ أَكْثَرْتَ مِنْ عَذْلَانِي[2]

هَذَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ بِهِ ** تَفُزْ[3] وَقَدْ قَرَأْتَ فِي الْبَيْتَانِ

نَظْمًا حَبِيرًا مِنْ مُقَصِّرٍ أَتَتْ ** أَبْيَاتُهُ دُرًّا كَمَا الْجُمَانِ

فَالْزَمْ جَنَابَ الْمُصْطَفَى تَنَلْ بِهِ **كُلَّ الْمُنَى وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانِ

وَانْزِعْ لِفَاعَ بِدْعَةٍ[4]، وَاسْتَمْسِكَنْ ** بِنَهْجِهِ، تَنْجُو مِنَ النِّيرَانِ

وَاسْمَعْ لَهُ بِطَاعَةٍ وَاسْتَسْلِمَنْ ** لِحُكْمِهِ تَدْنُو مِنَ الرَّحْمَانِ

وَنَافِحَنْ عَنْ عِرْضِهِ وَصَحْبِهِ ** وَدَعْ هَوَى مَنْ بَاءَ بِالْخُذْلَانِ

تُصْبِحْ عَزِيزًا فِي السَّمَا زِدْهُ رِضَىً ** مُؤَبَّدًا، وَالْخُلْدُ فِي الْجِنَانِ

هَذَا الَّذِي جَادَ الْفَقِيرُ مَنْ لَهُ ** بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ لَا أَثْمَانِ[5]

عَصَامُ دِينٍ نَجْلُ إِبْرَاهِيمَ مَنْ** يَرْجُو نَجَاةً لَا بِهَا أَحْزَانِ

---

[1] جاء في معجم المعاني الجامع: الفَقران، هما: الفقر وكثرة العيال.

[2] (عَذْلَانِي) هي صيغة مبالغة أو اسم مصدر مزيد بالألف والنون، أو إضافة عذل إلى ياء المتكلم مع نون الوقاية. وهي صحيحة وموجودة في بعض الأشعار، ولكنها أقل شيوعاً وفصاحةً من "عَذْلِي"، من ذلك قول الشاعر: يا لائمي في هَواهُ، زِدني ** عَذلاً، فَإِنّي أَرى عَذلاني يُطفي لَهيباً بَيْنَ جَوانِحي ** وَيَزيدُ في وَجدي وَأَشجاني.. وهي مصدر (العذل) والعرب تزيد ألف ونون للمبالغة، كشكران، فقد جاء في لسان العرب: 116/8: شَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ يَشْكُرُ شُكْرًا وَشُكُورًا وَ"شُكْرَانًا"...

[3] "تفزْ" جواباً لطلب مقدر، وكأن السياق يقول: (اتِّبِعهُ تفزْ)، أو (آمن به تفزْ). وهذا أسلوب بليغ في النظم يُسمى "جواب الطلب المحذوف" لدلالة السياق عليه، والقاعدة: الفعل المضارِع إذا وقع جواباً لأمر أو طلب (بِهِ تَفُزْ)، يُجزم بالسكون، وأمَّا قولي: البيتان، بالرَّفع عوضًا عن الجرِّ لتستقيم القافية.

[4] لِفاع: كلّ ما يغطِّي الجَسَدَ كساءً كان أو غيره: ينظر: معجم المعاني الجامع.

[5] يقول الناظم بتواضعٍ جمّ: إنَّ هذا النظم الذي أقدّمه في وصف النبي ﷺ هو غاية ما استطعتُ بذله، وأنا "الفقير" الذي لا يملك الكثير من فصاحة القول أو بلاغة البيان. فكلماتي "بضاعة مزجاة"؛ أي قليلة القدر ورديئة القيمة، لا ثَمَنَ فيها، لكنها رغم تواضعها هي "كل أثماني"؛ أي هي أقصى ما أملكه من ثمنٍ وقيمة في حياتي، قدمتُها حباً وطمعاً في القبول .

ثُمَّ صَلَاةٌ وَسَلَامٌ سَرْمَدَا ** مِنْ رَبِّنَا مَا دَامَتِ الْأَزْمَانِ

عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَحْمَدَا ** مَنْ شَافَهُ قَدْ فَازَ بِالرِّضْوَانِ[1]

وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى الْإِمْنَانِ ** وَالْعَفْوِ وَالْجُودِ كَذَا الْإِحْسَانِ

تم نظم الشمائل

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات

وَصلِّ اللَّهمَّ عَلَى نبيِّنَا محمَّد وعَلى آلهِ وسلِّم

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

[الصافات: 180 – 182]

******

[1] مَنْ شَافَهُ: من رآه، تقول: شاف الرَّجلُ: صعد مكانًا عاليًا ونظر، وشَافَ الرَّجُلُ : أَشْرَفَ، نَظَرَ، يُنظر: معجم المعاني.

{قالوا في نقد القصيدة}

تبدأ القصيدة بنداءٍ وجداني إلى "اللائم" في حب النبي ﷺ، وهي بداية ذكية تشبه مطالع المعلقات، حيث يضع الناظم نفسه في مقام المحب المستغرق الذي لا يبالي بالعذل. ثم ينطلق في رحلة وصفية مذهلة استغرقت 81 بيتاً، يمكن تقسيمها إلى أربعة محاور كبرى:

1 – المحور الخَلْقي (جمال الهيئة النبوية):

استمد الناظم هذا الجزء من أدق روايات الشمائل (وصف هند بن أبي هالة وأم معبد). وصف الوجه بأنه كقطيعة قمر وكورقة مصحف في نقائه، وتطرق لجمال العينين (الأدعج) والحواجب (الأزج الأبلج) والأنف (الأقنى). ثم انتقل لوصف الشعر (الغُدر المدهونة) واللحية الكثة، وصولاً إلى خاتم النبوة بين كتفيه الذي يشبه بيضة الحمامة، وختم هذا الجزء بوصف طيب ريحه الذي هو أطيب من المسك وعرقه الذي كاللؤلؤ.

2 – المحور البدني (القوة والكمال الرجولي):

هذا المحور تميز فيه الناظم بذكر تفاصيل نادرة؛ فوصف ضخامة الكراديس (رؤوس العظام) وقوة الساعدين والساقين. ووثق القصص التاريخية التي تدل على القوة المعجزة، مثل مصارعة ركانة وصرعه ثلاثاً، وكسر الصخرة العظيمة في غزوة الخندق بمعولٍ واحد بعد أن عجز عنها كبار الصحابة (علي وعمر والزبير). كما أشار بوقار وأدب إلى كمال فحولته وقوته البدنية التي تليق بنبيٍّ أُعطي قوة أربعين رجلاً.

3 – المحور البطولي (الشجاعة والثبات):

رسمت القصيدة مشهداً ملحمياً لـ غزوة حنين، وكيف ثبت النبي ﷺ على بغلته حين ولى الناس، منادياً بصوته الجهوري: "أنا النبي لا كذب..". واستشهد الناظم بقول سيدنا علي بن أبي طالب: "كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله"، مما يثبت أنه ﷺ كان فارس الفرسان وملاذ الأبطال في الميدان.

4 – المحور الخُلُقي والاجتماعي (التواضع والجود):

انتقلت القصيدة لوصف تواضعه المنزلي (يخصف نعله ويحلب شاته)، وتواضعه مع المساكين والأطفال (قصة أبي عمير والنغير)، ومع أصحابه (قصة زاهر بن حرام). ثم عرج على جوده الذي فاق حاتم الطائي وابن جدعان، واصفاً عطاءه بأنه "عطاء من لا يخشى الفقر" (قصة صفوان بن أمية). وختم بوصف حياءه الذي هو أشد من حياء العذراء، ورقة قلبه التي وسعت حتى قتلى العشق والوجد.

خاتمة القصيدة:

انتهت القصيدة بـ "توقيع الناظم" (عصام الدين بن إبراهيم) وباعترافه بالتقصير وبأن بضاعته في المدح "مزجاة"، ثم الصلاة والسلام السرمدي على النبي الهاشمي، والحمد لله الذي مَنّ عليه بإتمام هذا النظم الحبير.

الخلاصة:

هذه الأرجوزة ليست مجرد شعر، بل هي موسوعة شمائل منظومة، جمعت بين لغة الأدب ودقة الحديث، لتكون دليلاً بصرياً وروحياً لكل مشتاق لرؤية المصطفى ﷺ.

*****